بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

تتعرض مدينة القدس ـ والبلاد العربية المحتلّة ـ لاستلابٍ ماكر للأرض وللانسان، فقد أخذت سلطات الاحتلال تغيّر أسماء المدن والمواقع الجغرافية حتى لتوشك الأسماء الأصلية أن تنطمس خلال عقد من الزمان، وتحلّ محلّها أسماء اخترعها الغزاة الصهيونيون، معتمدين في بعضها على أسماء عربية قديمة (مثل الأسماء الكنعانية) حرّفوها لتوافق ما في لغتهم، وليتوهّم الناس أنها من تلك اللغة وأنها إليهم تنسب. ومعتمدين في بعضها الآخر على أسماء عابرة لم تُعَمِّر طويلا، أطلقها غزاة القبائل العبرية واليهودية حين قامت لها دولة في تلك البلاد المقدسة حقبة قصيرة لا تتيح لها ادّعاء المِلْكية للبلاد والسيطرة عليها، فهي من الشعوب والقبائل الوافدة التي سرعان ما يزول كيانها المتميّز عادة، وتندمج مع سكان البلاد الأصليين.

لقد كان العرب هم هؤلاء السكان الأصليين، عرف التاريخ استقرارهم هناك منذ نحو الألف الثالث قبل الميلاد، واستمروا أصحاب البلاد وسكانها، على تغيّر الأزمان والأحوال والدول الحاكمة. واتخذت الشعوب والقبائل العربية أسماء مختلفة بحسب مواقع نزولها، من أمثال الكنعانيين واليَبُوسيين والعَمونيين والمآبيين، وغيرهم ممن اتخذوا أسماء مختلفة والأصلُ واحد والنسبةُ عربية. شأنهم في ذلك شأن أمتنا في العصر الحديث، حين اتّخذ سكان الأقطار العربية أسماء مختلفة باختلاف أقطارهم، فيقال مثلا: الأردنيون والفلسطينيون والكويتيون والعراقيون والسوريون والمصريون والتونسيون والجزائريون والمغاربة، وانما هم جميعا عرب، لاشكّ في حقيقة عروبتهم وأصالتها، وإنْ نُسِبوا إلى أقطار متعددة فاختلفت تسمياتهم.

فالوجود العربي في القدس ـ وسائر البلاد المحتلة ـ وجود مستمرّ غير منقطع منذ أقدم ما نعرف من عصور التاريخ، وكل الشعوب والقبائل الأخرى انما هي شعوب وافدة أو غازية، استقرّ بعضها في هذه البلاد الطيبة واختلطوا بأهلها واندمجوا بهم حتى بهتت معالم شخصيتهم المستقلة: حضاريا وثقافيا، وغلبت عليهم الشخصية العربية: تأثروا بها وأثّروا فيها، واغتنوا بها وأغنوها، وضاعت مع الزمن أصولهم الأولى، في هذه البلاد، إلّا ذكريات باهتة يقوم أكثرها على الظنّ، ويصعب تتبّعها والقطع فيها بيقين. وهكذا كان شأن اليونان، والفرس، والرومان، والبيزنطيين، والصليبيين، وغيرهم، ممن زالت دولهم الغازية وبقيت جاليات منهم، ساحت في البلاد، واختلطت بسكانها، وأصهرت اليهم، وصارت منهم.

تلك هي قدسنا، ومايقال عنها وينطبق عليها يقال عن بقية فلسطين والأرض التي بارك الله تعالى حولها، من حيثُ قِدَمُ العروبة فيها وأصالتُها، ثم شعّ فيها نور الاسلام، حين لاقى فيها المسلمون أبناء عمومتهم وذوي قرباهم، وبطوناً من عشائرهم، وان اختلفت أسماء نسبتهم، واختلفت ديانتهم بحكم الدول التي تعاقبت على بلاد الشام.

ولقد كانت هذه المدينة المقدسة من أهم مراكز ثقافتنا ومستودعاتها. ففيها: ولد وعاش ومات، أو ولد وعاش ثم رحل إلى غيرها من بلاد المسلمين، أو وفد إليها واستقرّ فيها، عدد كبير من علمائنا، من: المؤلفين، والمدرسين، والفقهاء، والمُفْتِين، والقُضاة.(١).

وفيها: عدد كبير من مخطوطات تراثنا المبعثرة في: المساجد، والكنائس، ومكتبات الأفراد، ومكتبات الأسر.

وفيها: معالم أثرية من مختلف عصور تاريخنا العربي تتمثل في: المساجد وفي طليعتها الأقصى ومسجد عمر وقبة الصخرة، والسبل والتكايا والخانقات والأروقة والمدارس ودور العلم. وتتمثّل كذلك في: القبور والأضرحة المفردة والمقابر الجماعية، من بينها أكثر من تسعة قبور لصحابة رسول الله ﷺ، وأكثر من أربعمئة قبر للعلماء والأعيان ورجال الحكم والقادة.(٢) وهذا كله مبثوث منتشر في سائر أنحاء فلسطين، لايقتصر على مدينة دون غيرها.

وفي هذه المدينة نشأ من عرفناهم، ورَبِينا في ظلّهم، واتصلنا بهم، من آباء أجدادنا، وأجدادنا، وآبائنا، ونشأ فيها أترابنا وبعض أبنائنا، وملكنا المدن والقرى والأرض والزرع والبيوت، وأقمنا العمران والمجتمع البشري، وكنا في كل ذلك جزءاً من أمتنا العربية، لا تقف بيننا وبينها الحدود ولا تمنعنا عنها القيود. حتى جاء الاستعمار الغربي، ثم الهجمة الاستيطانية الصهيونية، فانقطع كل ذلك، وغُيِّرَتْ أسماء كثير من المدن والقرى، وضاعت الأرض، وجفّ الزرع، وفقدنا البيت والسكن، وأصبحنا مشردين، نضرب في التيه. ونشأ لنا من ذريتنا من لايعرف الأرض ولا البيت إلّا روايةً عن آبائهم، وإلّا حديثاً من الكتب. وجاء بدلاً منهم غرباء من الخَزَرِ المشتتين في أنحاء الدنيا، فغزوا مدننا وقرانا واستوطنوها، واحتلّوا بيوتنا وسكنوها، واغتصبوا أرضنا وزرعوها، وأنشؤوا لهم حصوناً وقلاعاً يتقوّون بها، واستجلبوا مهاجرين من شتى بقاع الأرض يستكثرون بهم، فغيروا معالم عمراننا، وأسماء بلادنا، وأَحلُّوا بالتركيب الاجتماعي والسكاني على أرضنا ووطننا، ثم أنكروا علينا حقّنا، وادّعوا لأنفسهم مالم يكن يوماً لهم. وشرعوا يدمّرون، شيئا فشيئا، بعض هذه المعالم الأثرية من تراثنا الثقافي، يهدمونه بحجج شتى، بل يزيلونه بالجرّافات، ويقيمون مكانه مباني متطاولة على النمط الحديث، أو حدائق عامّة، أو مواقف للسيارات. ويتركون مالا يستطيعون ازالته، مما هو آيلٌ إلى السقوط، ليسقط وحده. وهكذا تختفي المعالم والآثار، وتنشأ أجيال جديدة لاتعرف من أمر ما كان شيئا.

من أجل هذا كله كانت عناية المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) بالتراث الثقافي في بيت المقدس، وهو تراث أصبح عالميا تملكه الانسانية وتعتزّ به، شأنه شأن كل تراث أصيل، في أيّ مكان قام، وأيّاً كانت الأمة التي أبدعته.

وأول واجب عليها لهذا التراث هو توثيقه. وذلك بأن: نسجّله تسجيلا شاملا، ونحدّد موضع كل أثر

---

(١) من أهم الكتب التي أشارت إلى هؤلاء الأعلام وترجمت لهم كتاب مجير الدين الحنبلي «الأنس الجليل» وكتب الرجال المخصصة لكل مئة سنة، مثل «الدرر الكامنة» لابن حجر، «والضوء اللامع» للسخاوي، و«الكواكب السائرة» للغزّي، و«خلاصة الأثر» للمحبي، وغيرها. وكذلك كتب الطبقات.

(٢) أنظر لذلك كتاب «أجدادنا في ثرى بيت المقدس» للدكتور كامل العسلي، نشر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية، عمّان ١٩٨١م.

منه، على خريطة، تحديدا دقيقا، ونَصِفَهُ – من داخله ومن خارجه – وصفا مفصّلا يبرزه للعين كأنها تراه، بحيث يصبح من المستطاع اعادة أقامته كما كان، اذا تعرض لنازلة طبيعية تجتاحه، كالحرائق والزلازل والسيول، أو لقصف مدفعي أو انفجارات بسبب فتنه داخلية أو حرب، أو اذا تساقط مع الزمن. فكيف اذا وقع في أسر غاصب يبيّت له التدمير!

ثم ان الواجب علينا أن نبيّن حالة كل أثَر من حيث حاجته إلى الترميم بيانا أقرب إلى الدّقة، إذْ أن البيان الدقيق لايظهر الا مع مراحل الترميم نفسها بما تتكشّف عنه كل مرحلة من أمور لم تكن ظاهرة للعيان. ويلحق بهذا البيان تقدير النفقات المالية، والخبرات الفنية العملية المطلوبة، والهيئات التي يستعان بها عند التنفيذ أو تستطيع الاشراف على سير العمل.

وقد نهضت بهذا كله أو ببعضه، مؤسساتُ آثارٍ أجنبية اتخذت من مدينة القدس مقرّا لمدارسها وبعثاتها، وخاصة المدرسة الانجليزية والمعهد الألماني. ثم جاءت هذه الخطة التي تضمّها دفّتا هذا الكتاب لتتناول المعالم الأثرية والدينية داخل أسوار القدس الشريف في مساحة مقدارها كيلومتر مربع، وعددها يزيد قليلا على مئتي مَعْلَم. وهي خطة متكاملة أعدّها – عن الطبيعة – قسم الآثار الاسلامية في القدس باشراف لجنة «إعمار» المسجد الأقصى والصخرة المشرفة، التي ألّفها مجلس الوزراء في المملكة الأردنية الهاشمية، ونهض بها خمسة من المهندسين والمتخصصين أثابهم الله خير الثواب. وهذه الخطة ذات مراحل، مرتبة حسب الأولوّيات، تُنفَّذ كل مرحلة حين تتوافر لها الامكانيات المالية. وقد تناولت الخطة – فيما تناولت – تقدير النفقات التقريبية المطلوبة لإنجاز أعمال الترميم لهذه المعالم، وهي أعمال لابدّ أن تتم من خلال دائرة الأوقاف في القدس، حتى يمكن التغلّب على العراقيل والصعوبات التي تبثّها سلطات الاحتلال في طريق التنفيذ.

انّ هذا الكتاب – بما يشتمل عليه من مادّة محدّدة مفصّلة، ومن خرائط وصور – هو خطوة أساسية كبيرة في سبيل القيام بترميم هذه الكنوز من التراث الاسلامي ومن فنون العمارة التي تحكي حقبة من تاريخ أمتنا في هذه المدينة المقدّسة. وليس من شك في أن ترميم هذه المعالم هو رسالة حضارية ثقافية انسانية يقع عبئها على هذه الأمّة، بتوفير المال الذي تحتاج إليه تلك الأعمال، وهو مال زهيد اذا ما قيس بمقدّراتنا المالية: أفراداً وحكومات. وبالنهوض بهذه الرسالة الدينية والعلمية، نستطيع أن نحافظ على هذه المعالم ذخيرة للأجيال القادمة من أمتنا ومن الانسانية قاطبة.

وقد أدركت «منظمة المدن العربية» قيمة هذا العمل العلمي وأثره في وضع خطة تنفيذية لإنقاذ تلك المعالم الأثرية والدينية. فبادرت مشكورة إلى طباعة هذا الكتاب ليكون رمزا لتعاون متصل بين المنظمة والمجمع الملكي، وخاصة بعد انشاء «صندوق التآخي مع القدس الشريف» الذي أقرّه المكتب الدائم لمنظمة المدن العربية، للإنفاق منه على صيانة التراث العربي والاسلامي في مدينتنا المقدسة.

رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً.

الدكتور ناصر الدين الأسد

رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية
(مؤسسة آل البيت)

عمان في ١٢ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ
١٩٨٣/٣/٢٦م

كلمة منظمة المدن العربية

القدس عضو مؤسس في منظمة المدن العربية، وهي وإن كانت ترزح في هذه الآونة تحت الاحتلال الاسرائيلي، فانها مازالت، وستظل تشغل الحيز الأكبر في قلوب العرب والمسلمين. وما وصله الله لايمكن أن يقطعه الناس. كيف لا، وقد جمعها الله مع مكة المكرمة في القرآن العظيم، عندما قال تعالى: «سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَىٰ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...» حتى أصبحا توأمين لاينفصلان إلى يوم القيامة. وما قدّسه الله تعالى يجب أن ينال تقديس العرب والمسلمين أينما كان موقعهم، منذ أن أوجده الله وإلى يوم يبعثون. تضم القدس بين جدرانها الحجرية كنوزاً معماريةً عظيمةً، تحكي تاريخَ أمةٍ اسلاميةٍ مجيدة، عاشت في العصور الاسلامية المتوسطة. لقد منح الله تعالى أهل القدس، في عصور مضت، الخير والعلم والفنون، فشيدوا المساجد العظيمة، والمدارس الكثيرة، والأبنية الحضارية. وقد شاهدت هذه الأبنية ترميمات شتّى، كان آخرها في القرن العشرين: الترميم التركي، والترميم الأردني. لكنّ كنوزها المعمارية في هذه الآونة أصبحت في خطرٍ محدقٍ بسبب عوامل كثيرة، منها السياسية، ومنها الاجتماعية، ومنها الاقتصادية، مما وقف حائلاً أمام امكانات المقدسيّين للقيام بالمسح والتوثيق والترميم والصيانة، بالشكل الذي يتناسب وأهمية هذه الأبنية. ولما كان الحفاظ على التراث الحضاري للمدينة العربية هو من أهم أهداف منظمة المدن العربية، كما جاء في نظامها الأساسي، فقد تطوع افراد شعروا بواجبهم من أجل ايقاف الخطر الذي يهدد كنوز القدس المعمارية، ولشرح الحالة التي هي عليها على المستويين العربي والعالمي، فأقدموا على تأليف هذا الكتاب الذي يحوي بين دفتيه صورة صادقة عن كنوز القدس المعمارية، والحالة التي هي عليها، وما تحتاجه من ترميم، وما يتطلب ذلك من مخصّصات مالية.

أملنا كبير في حرص الأمة العربية والاسلامية على الحفاظ على تراثها الحضاري أينما كان، وجعل الأولوية في ذلك للقدس الشريف. والله الموفق إلى سواء السبيل.

عبد العزيز العدساني

أمين عام منظمة المدن العربية

شـــكر

بعد أن تم تجهيز وتنسيق مواد هذا الكتاب، نتيجة جُهدِ سنين متواصلة، عمل خلالها زملائي المؤلفون، ودخل مرحلة انتظار وتريّث، يشوبه الأمل، ينتظر خلالها إقدام احدى المؤسسات التي يهمها موضوع مسح وتوثيق وترميم وصيانة آثار القدس، لتمويل طباعته، حتى قيّض الله منظمة المدن العربية، التي أبدت اهتماماً بالغاً بهذا الموضوع، ورغبةً أكيدة لطباعته على نفقتها.

فإلى منظمة المدن العربية أقدم اسمى آيات الشكر والعرفان بالجميل لاهتمامها بطباعة «كنوز القدس» وإخراجه في حُلّةٍ قشيبة تتناسب وأهمية القدس الشريف. وإلى أمين عام منظمة المدن العربية الاستاذ عبد العزيز العدساني ومديرها العام الاستاذ طالب الطاهر أعرب عن شكري الجزيل وتقديري العظيم.

لي وطيد الأمل بأن يكون في هذا الكتاب فائدة علمية لمن يرغب في علمٍ وفائدة تاريخية لمن يرغب في اطلاعٍ، وفائدة هندسية لمن سيساهم في ترميم آثار القدس الشريف وكنوزها المعمارية. وبالله نستعين، فهو الذي هدانا إلى هذا، وماكنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فهو وليّ التوفيق ونعم النصير.

رائف نجم